شبكة المعلومات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها
علي هذه الأفلام قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأفلام بعيدا عن الغبار

في درجة حرارة من ١٥-٢٥ مئوية ورطوبة نسبية من ٢٠-٤٠%

To be Kept away from Dust in Dry Cool place of 15-25- c and relative humidity 20-40%

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

بعض الوثائق الاصلية تالفة

Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

بالرسالة صفحات

لم ترد بالاصل

جامعة دمشق
كلية الأداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

٤١٥,١

اختيارات الزمخشري النحوية في الكشاف

جمعاً ودراسة ومقارنة

رسالة دكتوراه

إشراف الأستاذ الدكتور : إبراهيم محمد عبدالله
إعداد الطالب : عبد المجيد فلاح

١٣١٨

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

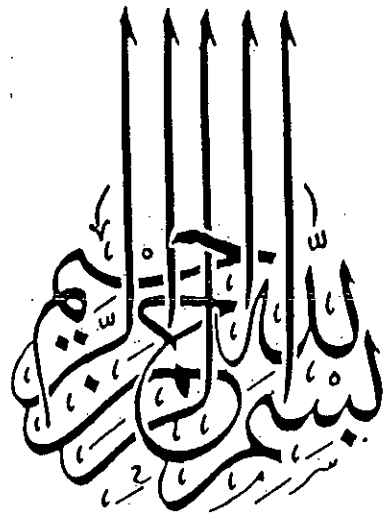
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه على نعمه وآلائه، والصلاة والسلام على نبيّه محمّدٍ وآله، وصحابته الأطهار الطيّبين، ومنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

منذ أيام الدراسة الجامعية كانت نفسي شغوفةً بالبحث فيما يخدم كتاب اللّه عزّ وجلّ، وتيسّر لي أنْ أبحث خلال مرحلة الماجستير في (حاشية السيوطي على مغني اللبيب) والمغني - كما هو معلوم - يعدُّ إعراباً من أعاريب القرآن، وخلال بحثي هذا في الماجستير عشت مع تفاسير القرآن وأعاريبه، وكان من أجلّها كشّاف الزمخشري الذي يعدّ من أبرز كتب التفسير التي خدمت القرآن الكريم في علومه المختلفة، فالمطالع له يجده حافلاً بالمسائل النحويّة والنكات البلاغيّة، ولعلّ أبرز ما يلفت النظر فيه اختيارات الزمخشريّ النحويّة واجتهاداته الإعرابيّة التي انفرد بها أو كاد.

وقد تنبّه إلى أهمية هذا الكتاب ثلّة من علمائنا الأجلّاء،الذين توفّروا عليه شرحاً وتعليقاً وتلخيصاً، أو ردّاً لبعض ما جاء فيه، ونظرة سريعة في «كشف الظنون» تجلو لنا حقيقة ما ذكرنا.

أمّا بالنسبة إليّ فإنّي وجدت فيه نحواً غزيراً لا يكاد يوجد في مفصّلات النحو، وهذه ظاهرة نبّهعليها أحد الباحثين المعاصرين[1]، فجالت في ذهني فكرة دراسة اختيارات الزمخشري النحويّة وتفرّداته في الكشاف، فعزمت الأمر أنْ أقرأ الكشّاف مجدَّداً، ونضجت هذه الفكرة عندما استشرت من كان لهم فضل في العربية،وباع في علم النحو، فشجّعوني على ذلك، فألقيت رحالي في جامعة دمشق، وعرضت الموضوع على أستاذي المشرف،فلاقى قبولاً سريعاً منه، بل كان متحمّساً له، وهو المعروف عنه التأنّي في الموافقة على الرسائل الجامعية؛ليعطيها حقَّها من التأمل والنظر، ممّا شحذ همتي، وزاد في عزيمتي، بل كان حماسه زاداً

(١) هو الدكتور عباس حسن في كتاب (اللغة والنحو بين القديم والحديث) ص٢١٩.

شجعني على مواصلة العمل.

وإنّه لمن الإنصاف أنْ أذكرَ من سبقني في هذه الدراسة، فلم أكن بدعاً بين الدارسين في هذا المجال، ولم يكن هذا حقلاً بكراً لم تبتدعه أقلام القوم، فقد قامت حول الزمخشري وكشافه دراساتٌ كثيرة،قديمة وحديثة، قام بها نفرٌ من الدارسين،اختلفت اعتباراتُ وَجِهات الدرس عندهم، تناوله ابن خلدون في مقدّمته بصفحات طوال، واختصره البيضاوي بعد أنْ جرّده من مسائل الاعتزال، وعقّب عليه كثيرون، منهم ابن المُنَيِّر الإسكندري صاحب"الانتصاف"، والطِّيْبي في كتابه (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)، وأبو حيان الأندلسي في"البحر المحيط" حيث تعقّب آراء الزمخشري النحويّة وتوجيهاته الإعرابيّة لآي القرآن الكريم، وكانت مناقشاته مجالاً حيويّاً لنقد آراء الزمخشريّ النحويّة،وإلقاء مزيد من الضوء عليها، وهي مناقشات علميّة هادفة لولا ما شابها من تجريح وقسوة وصلت أحياناً إلى درجة الاتهام.

وتناوله من الدارسين المحدثين الدكتور مصطفى الصّاوي الجوينيّ الذي كتب (منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه)،والشيخ كامل محمد عويضة الذي كتب (الزمخشريّ المفسِّر البليغ) والدكتور زكريا الفقي صاحب (نحو الزمخشريّ بين النظريّة والتطبيق)، وقامت دراسات جامعية كثيرة حول ذلك، منها (الدراسات النحويّة واللّغويّة عند"الزمخشري) للدكتور فاضل السامرّائي و(جار اللّه الزمخشريّ وأثره في الدراسات النحويّة) للدكتور عبدالرحمن شاهين، ومنها تحقيق أجزاء من الكشاف قام بها مجموعة من طلاب الماجستير في جامعة دمشق، ووقفت على هذه الدراسات القيّمة التي اختلفت وجهات التناول فيها، لكنَّ واحدة من هذه الدراسات لم تأتِ على محور بحثي إلّا لماماً، ولا أنكر أنّني استفدت من هذه الدراسات السابقة، وأشرت إلى تلك الاستفادة في مواطنها، ولعلّ ما قدّمته يعدّ شذرة من تبر، أو قطرة من بحر في مجال الدراسات التي قامت حول الزمخشريّ من بلاغة ونحو واعتزال وغير ذلك.

ولأنَّه لم يظهر حتى الآن - في حدود علمي - مصنّف تناول هذا الموضوع بتفرّد كامل واستقلال شامل، اللّهم إلّا ما تفرّق في بطون الكتب المختلفة، ولم يتناوله أحد بدراسة تحليلية تكشف السرَّ وراء إلحاح الزمخشريّ على هذه الاختيارات وتضمينها الكشّاف، فيذهب في كثير من المواضع إلى مخالفة آراء ذهب إليها في مصنّفاته النحويّة الأخرى،كالمفصّل والأنموذج،مختاراً ما يراه الراجح، وهي ظاهرة أرى أنَّها تستحقّ البحث والدراسة، كلُّ ذلك جعلني أتخيّر هذا الموضوع ليكون محوراً لبحثي الذي أقدّمه لقسم اللغة العربية بجامعة دمشق لنيل درجة الدكتوراه، عسى أنْ يكونَ منهلاً لاسترشاد الباحثين، وأنْ يكونَ منحًى جديداً أضيفه إلى مناحي البحث في الدراسات النحوية.

وقد اقتضت الدراسة أنْ يأتي بحثي هذا في مقدِّمة وأربعة أبواب،تتبعها خاتمة وفهرس وثبت للمصادر والمراجع؛ ولم أتحدّث عن الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية التي أحاطت بالزمخشري،لأمرين؛ أحدهما:أنَّ كثيراً من الدارسين صنّفوا في ذلك المصنّفات، أمّا الآخر فكما قال أستاذي المشرف إن النحويّ لا يتأثّر كثيراً بما يحيط به من حياة سياسية أو اجتماعية، وإنَّ مثل تلك الدراسة لا يستفيد منها الدرس النحوي، وأمّا الأبواب فكانت كالتالي:

الباب الأول : وفيه فصلان، تحدثت في الأول عن ارتباط اختيارات الزمخشري بالمذهبين البصري والكوفي، وفي الثاني تكلمت على تفرّدات الزمخشريّ واجتهاداته،وجعلته في قسمين،جعلت الأول لما ثبت أنَّ الزمخشري متفرّد به،والثاني لما زُعِمَ أنَّ الزمخشريَّ متفرِّدٌ به وليس كما زُعِم، وصحّحت فيه نسبة الآراء والمذاهب لأصحابها بعدما ثبت لي من خلال البحث والمراجعة أنَّ الزمخشريّ مسبوق بغيره فيها.

الباب الثاني : بيّنت فيه الأسس التي قامت عليها اختيارات الزمخشري وتفرّداته، وجعلته في ثلاثة فصول، الأول بحثت فيه عقيدة الاعتزال وأثرها في اختيارات الزمخشري وتفرداته، والثاني بحثت فيه توجيه الزمخشريّ الإعرابَ

خدمةً للمعنى،وبيّنت فيه ترجيح الزمخشري المعنى على الصناعة النحويّة، حيث اعتنى بالمعنى وجعله مقدّماً على الألفاظ، والثالث وضّحت فيه أثر الوجه البلاغيّ في اختيارات الزمخشري وتفرّداته.

وفي الباب الثالث : تحدّثت عن تعدّد آرائه في المسألة النحويّة الواحدة، وأنّ جلّ علماء النحو واللغة كان لهم غيرُ ما رأي في المسألة الواحدة، والزمخشري اقتفى أثرهم في ذلك، وحدّدتُ المعيار الذي ينبغي أن نرجِّحَ من خلاله رأياً على رأي،وجعلت هذا الباب في فصلين،ذكرت في الأول مقارنة بين المفصّل والكشّاف، فبيّنت المسائل النحويّة التي ذهب إليها الزمخشري في المفصّل ثم جاء على خلافها في الكشاف، وفي الفصل الثاني ذكرت المسائل التي كان للزمخشري فيها غير ما رأي في الكشاف نفسه.

الباب الرابع : تحدّثتُ عن تأثّر اختيارات الزمخشري النحويّة بمن سبقه من النحاة وأثره فيمن جاء بعده، وجعلته في فصلين؛ تحدثت في الأوّل عن تأثّره بالنحاة السابقين من بصريين كسيبويه والمبرّد،وكوفيين كالكسائي والفرّاء، وبيّنت فيه أيضاً الأسس التي عوّل عليها الزمخشري في موافقاته أو مخالفاته لهؤلاء النحاة، وحاولت أن أستكمل في الفصل الثاني رسمَ ملامح شخصيّة الزمخشري النحويّة بشكل جليّ وأثره في علم النحو من خلال حديثي عن مواقف ثلاثة من أعلام النحاة المتأخرين من اختياراته وتفرّداته، واخترت ثلاثةً من هؤلاء هم ابن مالك، وأبو حيان، وابن هشام، وكان سبب اختياري لهؤلاء أنّهم جعلوا آراء الزمخشريّ النحويّة محوراً ومرتكزاً تدور حوله مناقشاتُهم وردودُهم،نقداً له أو ثناءً عليه،فظهر لنا مدى تأثّرهم به وتعويلهم عليه، وبيّنت كذلك الأسس والأشياء التي عوّل عليها هؤلاء المتأخّرون في ردودهم وتعقيباتهم على ما اختاره الزمخشري أو تفرّد به.

وختمت بحثي هذا بخاتمة اشتملت على أهمِّ النتائج التي وصلتُ إليها، وخلصت فيها إلى ثمرةِ ما درسته، وزبدةِ ما بحثته خلال ما يقارب خمسَ سنوات،

كابدت فيها جهداً مضنياً، وأنفقت وقتاً ثميناً، وعسى أنْ أكونَ قد وفّقت في رسم صورةٍ صحيحة أو مقاربةٍ لاختيارات الزمخشري النحويّة في الكشّاف، هذه الاختيارات التي أظهرت لنا الزمخشريَّ عالماً موسوعيّاً آخذاً نصيبَه من كلِّ علم وفنٍّ من علوم عصره وفنونه، يدرس المسائل بفكر حرّ نيّر، فيوافق أو يخالف، أو يخرج عن هذا وذاك ليأتي برأي لم يُسبَق إليه، منفرداً في ذلك ممّا جعله محطَّ هجومِ كثيرٍ من النّحاة المتأخّرين.. وبعد :

فإنَّه لا يسعني إلّا أنْ أشكرَ اللّه على ما أسبغه عليّ من آلاء فضله حتى أتيتُ على آخر هذا البحث، وإنّي لأتقدّمُ بخالص شكري وتقديري لكلِّ من كان له أدنى فضل في إنجاز هذا العمل، ممّن مدّ يده لي عوناً ومعروفاً، وإنّي لأتوجه بأخلص آيات الشكر والامتنان، والتقدير والعرفان إلى الأستاذ الدكتور إبراهيم محمّد عبداللّه الذي تفضّل بالموافقة على الإشراف على هذه الرسالة، ولم يبخل بوقته ولا جهده في تتبّع خطوات العمل منذ رسم مخططه إلى انتهائه، ولم يضنّ بتوجيهاته وإرشاداته التي أنارت لي الطريق، فمشيت بهديها، واستفدت منها، فجزاه اللّه عنّا الجزاء الأوفى.

كما أتوجّه بالشكر العميق والخالص إلى الأساتذة الكرام أعضاءِ لجنة الحكم، الذين سيتجشمون عناءَ قراءةِ هذا البحثِ وتصويبه، وتصحيحِ ما أعوّج منه، على ما سيقدّمونه من ملحوظات علميّة قيّمة، تفيد البحثَ وتقيم منآدَه، معتذراً لهم سلفاً عن أخطائه ونواقصه، فجزاهم اللّه خيرَ الجزاء.

وأخيراً أقول إنَّ هذا جهدُ المقلّ، أسأل اللّهَ أنْ أكونَ قد وُفّقت فيه لما فيه خدمة كتابنا الكريم ولغتنا الشريفة، وإحياء تراثنا العظيم، فإن كان ذلك فهو فضلٌ من اللّه ونعمةٌ يمنّها على من يشاء، وإنْ كانت الأخرى فحسبي أنّي قد أخلصتُ النيّة والقصد، وقدّمت ما استطعت من وقتٍ وجهد، وفوق كلِّ ذي علم عليم، واللّه المستعان والموفق إلى سواء السبيل.

الباب الأوّل:

اختيارات الزمخشري النحويّة و تفرُّداته و المذاهب النحوية

الفصل الأوّل :

اختيارات الزمخشري النحويّة في الكشّاف و المذهبان البصري و الكوفي

تظهر غلبة المذهب البصري على الزمخشري من خلال تطبيقه للأصول التي قام عليها مذهبهم، مثل تعويلهم على القياس، وتقديم السماع عليه، وأخذهم بالمسموع الكثير وإسقاطهم القليل النادر، وغير ذلك ممّا قام عليه نحو البصريين، كما أنّه استخدم مصطلحات البصريين بكثرة غالبة، على أنّ ذلك لا يعني أنّه لم يستخدم مصطلحات أهل الكوفة، أو تفرّد باستخدام مصطلحات جديدة، فالزمخشري يقول بآراء البصريين ويعتمد أسسَهم ويستعمل مصطلحاتِهم، فهو - إن صحّت نسبة النحاة المتأخّرين إلى أحد المذهبين النحويّين المعروفين - نحويّ بصريّ، ارتضى لنفسه أنْ يكون واحداً منهم عندما كان يقول «أصحابنا» ويقصد بهم البصريين[1].

والزمخشري لم يكن متعصّباً للمذهب البصري تعصّباً يجعلنا نشكّ بنظرته الموضوعية التي كان يحكّم فيها عقله وقناعته العلمية، فكما سيمرّ - كان الزمخشري وهو نجم من نجوم المعتزلة - رائدُه العقل وحاديه الحقيقة أينما كانت ظفر بها، أو حاول الوصول إليها، وكانت له حريته التي ساعدته على الانتقاء والاصطفاء من مذاهب البصريين والكوفيين، وكان لا يقبل المسألة قبل تمحيصها وتدقيقها وعرضها على فكره، لذا نراه في غير ما مسألة يخالفُ جمهورَ النحاة ويتفرّد برأيٍ لم يُسبَق إليه، فهو بعيد كلّ البعد عن التقليد والاتباع والاندفاع غير المدروس.

ونحن في هذا الفصل نعرض لمبحثين، نقف في المبحث الأول على أهمّ المسائل التي اختارها وكان فيها موافقاً لمذهب البصريّين، ونقف في المبحث الثاني على أهمّ المسائل التي اختارها ووافق فيها مذهب الكوفيين.

---

(١) انظر الكشاف ٣٢٩/١، و٩٢/٥.

أولاً : اختيارات الزمخشري النحوية في الكشاف والمذهب البصري :

الزمخشري ـ مهما قيل عنه - يبقى المذهب البصري السمة التي غلبت على معظم آرائه النحوية، فلم يجز القياس على القليل شأنه شأن البصريين، يقول في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[1] : « (وقرئ (الرشّاد)[2] : «فعّال من رشد بالكسر كعلّام أو من رشد بالفتح كعبّاد، وقيل هو من أرشد كجبّار من أجبر وليس بذاك؛ لأن فعّالاً من أفعل لم يجيء إلاّ في عدة أحرف نحو درّاك وسآر وقصّار وحبّار، ولا يصح القياس على القليل...»[3]. وكذلك نراه لا يجيز القياس على الشاذ، فيقول في (أحصى) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[4]: «... فإن قلت: فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل؟ قلت: ليس بالوجه السديد، وذلك أنّ بناءه من غير الثلاثي المجرّد ليس بقياس، ونحو أعدى من الجرب[5]، وأَفْلَسُ من ابن المُذلَّق[6] شاذ، والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به؟»[7] وبهذا وأمثاله نرى الزمخشري قد ارتأى ما ارتآه البصريون في أكثر المسائل، ولم يمنع ذلك من مخالفتهم في بعضها أيضاً.

وهنا نعرض لبعض المسائل التي وافقت فيها اختياراته المذهب البصري، من ذلك:

- عامل الرفع في الاسم المرفوع بعد «إذا» و«إنْ» الشرطيتين:

يرى سيبويه أنّ «إذا» الشرطية يجوز إضافتها إلى الجملة الاسمية إذا كان خبر المبتدأ بعدها جملة فعلية، يقول: «والرفع بعدهما [إذا وحيث] جائز؛ لأنّك قد تبتدئ الأسماء بعدهما، فتقول اجلس إذا عبدالله جلس»[8] وجعل ذلك الجواز قبيحاً، فظاهر كلامه أنه يجوز إضافتها إلى الجملة الفعلية أو الاسمية، لكن

---

(١) غافر ٢٩/٤٠.

(٢) وهي قراءة معاذ بن جبل والحسن (الرشّاد) بشد الشين وهو مبالغة من الفعل رشد. انظر: مختصر ابن خالويه ص١٣٢، والمحتسب ٤٢١/٢، ومعجم القراءات ٢١٩/٨.

(٣) الكشاف ٣٤٥/٥ .

(٤) الكهف ١٢/١٨ .

(٥) انظر : جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ٦٧/٢، ومجمع الأمثال ٢/ ٤٥٣ ، والمستقصى ٢٣٧/١.

(٦) انظر: جمهرة الأمثال ١٠٧/٢، مجمع الأمثال ٢/ ٥٣٢ ، والمستقصى ٢٧٥/١ .

(٧) الكشاف ٥٦٧/٣ .

(٨) الكتاب ١٠٧/١ .